

الوعد العجيب تكوين ٣

أصدقائي المستمعين ..

في الحلقة السابقة من برنامجنا، رأينا كيف أن آدم وحواء ضلّاً بعيداً عن طريق الله، عندما أكلا من ثمر الشجرة التي كان قد حرّمها. وهكذا، اختار الإنسان، الذي خلقه الله على صورته، أن يتبع الشيطان، عدو الله. فقبل أن يخطئ آدم وحواء، كانا يفرحان عندما كان يأتي الله إلى الجنة، ليتحدث معهما. وأما الآن، فعندما سمعنا صوت الله، شعرا بالخوف والخجل، وحاولا أن يختبئا منه بين أشجار الجنة! ومع ذلك، بحث الله عن آدم وحواء، وتكلّم إليهما، وأعلن لهما عما ستأتي به الخطية إلى العالم: الضيق والمعاناة، والشوك والحسك، والمرض والموت.

وبالتالي، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم، يمسك ظل الموت بنسل آدم. إذ أن كل نسل آدم قد حُبِلَ به بالخطية، ووُلِدَ بطبيعة شريرة. وسواء قبلنا هذا أم لم نقبله، فكلنا نشترك في طبيعة جدنا آدم. فبسبب خطية آدم، وُلِدنا كلنا خطاة. وهذا ما يقوله الكتاب: “من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع” (رومية ٥: ١٢).

إن هذه قطعاً ليست برسالة سارة للأذان، ولكن هذه هي الحقيقة. وهكذا، نرى كيف أن خطية آدم الوحيدة فصلت البشرية كلها عن الله. فبسبب خطية البشر، صار نصيبهم مع الشيطان، الذي أخذهم كأسرى وعبيد. والآن، ليس لهم أن يأملوا في أي شيء في هذه الحياة سوى العبودية للخطية، والخوف من الموت؛ وفيما بعد، عقاب لا ينتهي في النار الأبدية.

ولو كان الكتاب قد توقف عند هذه النقطة، لما كان في وسعنا غير أن نغلقه، ونبكي بكاءً مرّاً مثل شخص فُقد في البحر بلا أملٍ في النجاة. ولو لم يكن قد فتح الله طريقاً للخلاص ليخلص نسل آدم، لكننا قد هلكنا للأبد.

ولكن مبارك الرب إلهنا، إذ لا تنتهي كتب الأنبياء بقصة خطية آدم. فالله، الذي هو عظيم في رحمته، قد فتح لنسل آدم باباً للخلاص! هكذا تقول كلمة الله:

“ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً.” (رومية ٥: ٢٠)، وأيضاً: “لا تخافوا، فهذا أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب.” (لوقا ٢: ١٠)، وأيضاً: “لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس.” (تيطس ٢: ١١)

اليوم، سنرى كيف أنه في اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحواء، بدأ الله يعلن خطته العجيبة لخلاص الخطاة. دعونا نستمر في التوراة، وفي سفر التكوين؛ لكي ما نتعلم عن هذه الأخبار السارة. نقرأ في الفصل الثالث، والآية الخامسة عشر، أن الله قال للشيطان الذي في الحية: “وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلِك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.”

تحتوي هذه الآية الصعبة على حقائق عميقة وهامة، والتي يشرحها أنبياء الله بالتفصيل فيما بعد. ويمكننا إيجاز هذه الآية كما يلي: إن الله قد بدأ في إعلان خطته في إدخال مخلص أو فادٍ إلى العالم ليفدي نسل آدم ويحرره من سلطان الشيطان. فهذه هي أول آية تذكر مجيء الفادي القدوس. وفي هذه الآية، دعونا نتأمل أربع حقائق تخص المخلص أو الفادي الذي وعد الله أن يرسله.

الحقيقة الأولى هي هذه:

إن الله كان يعلن في هذه الآية كيف أن هذا المخلص كان سيولد من امرأة فقط، أي من عذراء. فكلُّ منا لديه أبٌ وأم. إلا أن المخلص الموعود به كان سيأتي من امرأة فقط بقوة الله، ولا سيكون له أبٌ أرضي. فلن يأتي مخلص العالم من آدم، لأن كل نسل آدم مصبوغين بالخطية. كان على مخلص الخطاة أن يكون بلا خطية. كان عليه أن يأتي مباشرة من الله، من السماء. ولذا، فأول شيء نتعلمه في هذه الآية هو: أن الله وعد بفادٍ قدوس، يكون من نسل امرأة، ولكن ليس من نسل رجل.

أما الحقيقة الثانية التي أعلنها الله في اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحواء، هو ما قاله الله للشيطان (أي الحية) بخصوص المخلص الموعود: “تسحقين عقبه.” وهكذا، بدأ الله يعلن كيف أن الشيطان سيعذب هذا المخلص الذي سيرسله من السماء. وفي الدرس القادم، سنرى كيف تنبأ الأنبياء عن أن الشيطان سيحرّض الناس ليضطهدوا هذا المخلص ويعذبوه ويقتلوه. وهكذا، كانت خطة الله تتضمن مخلصاً مسحوقاً ومضروباً. فمن أجل غرض إرجاعنا إلى الله كان على مخلص العالم أن يموت كذبيحة للخطية.

أما الحقيقة الثالثة بخصوص هذا المخلص هي أن الله قد أخبر الشيطان الذي في الحية إن هذا المخلص سوف يسحق رأسه (أي رأس الشيطان). وكان هذا خبراً سيئاً للشيطان. ولكنه كان خبراً مفجعاً لكل من يريد أن يُعتق من قوة الشيطان والخطية والجحيم! وهكذا، بدأ الله يعلن أن هذا المخلص، في النهاية، سوف يغلب الشيطان ويحرر نسل آدم الذين قد أصبحوا عبيداً للخطية.

أما الحقيقة الرابعة والأخيرة، فهي أن الله قد بدأ يعلن أنه سيكون هناك مجموعتان من الناس في العالم. مجموعة أتباع الشيطان، ومجموعة أتباع الله.

.. أتباع الشيطان هم الذين يرفضون تصديق كلمة الله.
.. أما أتباع الله، فهم هؤلاء الذين يصدقون كلمة الله، ويضعون كل ثقتهم في المخلص الموعود.

وهكذا، ففي اليوم الذي أخطأ فيه آدم وحواء، بدأ الله يعلن خطته العجيبة لتخليص الخطاة. والآن
إذاً، دعونا نختتم قراءة الفصل الثالث من الكتاب الأول في التوراة. يقول الكتاب:
“وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من جلد، وألبسهما. وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد
صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً، ويأكل
ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان،
وأقام شرقيّ جنة عدن الكروبيم ولهيب سيفٍ متقلبٍ لحراسة طريق شجرة الحياة.” (تك ٣: ٢١-٢٤)

وهذا هو ما ينتهي به الفصل الثالث ..
وقبل أن نختتم حلقتنا اليوم، دعونا نتأمل بعض الحقائق الهامة التي احتوتها هذه الآيات.

يقول الكتاب: “وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من جلد، وألبسهما.”
فقد ذبح الله بعض الحيوانات، ونزع جلدها. وصنع ملابس من الجلد لآدم وحواء. لقد أتى الله بأول
ذبيحة حيوانية. يا له من منظر مصدم لآدم وحواء، وهم يشاهدان الدم وهو يسيل من الحيوانات
التي ذبحها الله. من خلال سفك دم الحيوانات، أراد الله أن يعلم آدم وحواء أن “أجرة الخطية
موت” (رومية ٦: ٢٣)، ويعلمهما أيضاً أنه “بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.” (عب ٩: ٢٢)

فأجرة الخطية لا بد وأن تُدفع. وأجرة الخطية هي الموت. فالله لا يستطيع أن يغفر خطية ما لم يُدفع
ثمنها. ولا بد من موت ضحية طاهرة بريئة بدلاً من الخاطئ المذنب. وهذه هي الطريقة الوحيدة
التي يستطيع بها الله أن يغفر الخطية دون المساس ببره.

وهكذا، أسس الله نظام الذبائح الحيوانية؛ ليذكر الخطاة أن أجرة الخطية هي موت. وترمز الذبيحة
الحيوانية إلى المخلص القدوس، الفادي الذي سيأتي إلى العالم ليُسفك دمه ثمناً للخطية.

وبعد هذا، طرد الله آدم وحواء من جنة الفردوس في عدن. وأقام ملاكاً ماسكاً لهيب سيفٍ متقلبٍ
لحراسة شجرة الحياة. لقد اختار آدم وحواء طريق الموت، عندما أكلا من الثمرة التي حرمها الله.
وهكذا، لم يعدا يستطيعان أن يتمتعا ببركات جنة عدن الرائعة.

وهكذا، أصدقاءنا المستمعين، دعونا نحتفظ بفكرتين في ذهننا.
الفكرة الأولى هي أن الله هو “البار”.

فالله لا يستطيع أن يحتمل الخطية، ولذلك أدان آدم وحواء، وطردهما من الجنة.
والفكرة الثانية هي: أن الله هو “الرحيم”.

إن آدم وحواء لم يستحقا رحمة الله، ولم يستحقا إلا دينونته. إلا أن الله لا يريد أن يهلك الناس. ولهذا وعد الله بمخلص ينقذ الخطاة من ظلمة مملكة الشيطان، وينقلهم إلى نور ومجد مملكة الله.

لا تتخذ عزيزي المستمع! فإن رحمة الله لا تتعارض أبداً مع برّه.
فهاتان الصفتان في الله لا بد وأن يعملتا معاً. وفي الدروس المقبلة سنرى بأكثر وضوح كيف أن الله يستطيع أن يظهر الرحمة للخطاة، دون أن يتعارض ذلك مع برّه.

أعزاءنا المستمعين ..

كانت هذه هي حلقتنا اليوم من برنامجكم “طريق البر”. نشكركم لحسن استماعكم. وندعوكم أن تكونوا معنا في الحلقة القادمة لتتعلموا بعض الدروس المهمة عن قايين وهابيل، أول أبناء لآدم وحواء. وليبارككم الله، وأنتم تتأملون فيما يعلنه الكتاب عندما يقول: “ولكن حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة جداً.” (رومية ٥: ٢٠)